مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 09 ،العدد 02 ،جوان 2024، ص - ص:430-449

الحملات الأوربية على الجزائر في العهد العثماني رد فعل على الأسر ونشاط القرصنة.

Campagnes européennes sur l'Algérie à l'époque ottomane en réaction à la captivité et à la piraterie.

بوعلام صفاح(*)
جامعة جيلالي بونعامة/خميس مليانة– الجزائر
boualem.seffah@univ-dbkm.dz

تاريخ الاستلام: 2022/03/ 25 تاريخ القبول: 2024/01/ 22 تاريخ النشر: 2024/06/ 27

الملخص: استطاعت إيالة الجزائر بفضل قوة جهازها العسكري وفعالية أسطولها البحري، والذي تمكنت بفضلها من فرض سيادتها على الساحة الدولية، أجبرت الدول الأوربية على الخضوع لإرادتها، لكن مع التغيرات الجيوسياسية التي وقعت في الحوض الغربي للمتوسط واختلال موازين القوى، حيث بدأت تظهر مواقف جماعية أوربية رافضة لنشاط البحري الجزائري والمتعلقة بالقرصنة والأسر واعتباره تحرش ونشاط غير قانوني.
وقد تمثلت مظاهر الرفض في قيام عديد الدول الأوروبية بحملات عسكرية بحرية ضد الجزائر، بغية تحرير أسراها واسترداد سفنها المحجوزة لدى البحارة الجزائريين.

الكلمات الدالة: الأسرى المسيحيين؛ الجزائر؛ العهد العثماني؛ الحملات الأوربية البحرية.

Abstrac: Thanks to the strength of its military apparatus and the effectiveness of its naval fleet, thanks to which it was able to impose its sovereignty on the international arena, the European countries were forced to submit to its will, but with the geopolitical changes that occurred in the western basin of the Mediterranean and the imbalance of power, where collective European attitudes rejecting the activity of The Algerian Navy and related to piracy and captivity and considered harassment and illegal activity.
The manifestations of refusal were represented in several European countries launching naval military campaigns against Algeria, with the aim of liberating its prisoners and recovering its ships seized by Algerian sailors.

Keywords: Christian captives; Algeria; Ottoman era; European Naval Campaigns.

* المؤلف المرسل.

1. مقدمة :

كثيرة هي الحملات الأوربية التي تعرضت لها مدينة الجزائر أثناء العهد العثماني، ولهذا الآمر مبررات عديدة في مقدمتها سيطرتها على البحر الأبيض المتوسط خصوصا حوضه الغربي بفضل رجال بحريتها حينذاك، وفرضها العديد من الشروط والقوانين التي بموجبها يتم المرور في هذه الرقعة البحرية بسلامة أو التعرض للأسر والحجز لكل من لا يراعي تلك البنود،[1] ورغم تلك الغارات الأوربية التي كانوا يشنونها على الجزائر، والتي كانت تعود عليهم في الغالب الأحيان بالوبال وهو فقدان سفنهم غنائم للجزائر ودفع ضرائب مرهقة، ففرنسا وحدها شنت على الجزائر وقت لويس الرابع عشر عشرة غارات، وبريطانيا سبع غارات منها اثنتان قدهما الأميرال نيلسون سنتي 1802و 1804م ورجع منهما مهزوما مدحورا.[2]وعلية نتساءل عن طبيعة المواقف من نشاط الغنائم البحرية؟ وكيف كانت ردت الفعل الأوربية على نشاط الغنائم البحرية؟ وكيف كان شكلها؟.

1. مقدمة:

كثيرة هي الحملات الأوربية التي تعرضت لها مدينة الجزائر أثناء العهد العثماني، ولهذا الآمر مبررات عديدة في مقدمتها سيطرتها على البحر الأبيض المتوسط خصوصا حوضه الغربي بفضل رجال بحريتها حينذاك، وفرضها العديد من الشروط والقوانين التي بموجبها يتم المرور في هذه الرقعة البحرية بسلامة أو التعرض للأسر والحجز لكل من لا يراعي تلك البنود،[3] ورغم تلك الغارات الأوربية التي كانوا يشنونها على الجزائر، والتي كانت تعود عليهم في الغالب الأحيان بالوبال وهو فقدان سفنهم غنائم للجزائر ودفع ضرائب مرهقة، ففرنسا وحدها شنت على الجزائر وقت لويس الرابع عشر عشرة غارات، وبريطانيا سبع غارات منها اثنتان قدهما الأميرال نيلسون سنتي 1802و 1804م ورجع منهما مهزوما مدحورا.[4]وعلية نتساءل عن طبيعة المواقف من نشاط الغنائم البحرية؟ وكيف كانت ردت الفعل الأوربية على نشاط الغنائم البحرية؟ وكيف كان شكلها؟

2. الحملات الفرنسية على مدينة الجزائر:

كلفت فرنسا سانسون لوباج" **Samson Lepage** "، بإعادة العلاقات السياسية والتجارية بين فرنسا والجزائر، كان الهدف هو دفع الحكومة الجزائرية لتعديل موقفها من قضية تفتيش السفن التجارية من طرف رياس البحر والتي اعتبرها الفرنسيون إهانة لهم، فكانت التعليمات التي وجهت لسانسون لوباج هي منع الجزائريين من تفتيش السفن الفرنسية، ودخول البحارة الجزائريين للمياه الإقليمية الفرنسية،[5] كما كلف بمهمة افتداء وتبادل أسرى الحرب.[6]

على الرغم من تعيين سانسون لوباج يعود تاريخه إلى 09 ديسمبر 1633م إلا انه شرع في مهمته في 12 جويلية 1634م، حيث وصل إلى الجزائر في 15 من الشهر نفسه واستطاع البث في المفاوضات فور وصوله؛ ذلك أن هذا اليوم مخصص لمناقشة العلاقات الخارجية، لكن غياب الباشا جعل المفاوضات تفشل في انتظار الباشا الجديد المعين من الباب العالي.[7]

بوصول الباشا يوسف تغير الوضع فجعل تسوية الخلاف من صلاحياته وحده، والذي اظهر معارضة شديدة لمطالب فرنسا ورفض إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين، ورفض إرجاع البضائع والسفن المستولى عليها، ليتضح للمفاوض الفرنسي إن تحقيق هذه المطالب دفعة واحدة أمر في غاية الصعوبة، ما دفعه للتركيز على الإفراج على ثلاثمائة واثنين وأربعون أسيرا فرنسيا مقابل ثمان وستين أسيرا جزائريا، لكن الحكومة الجزائرية رفضت هذا التبادل الغير متكافئ،[8] ومن أسباب فشل المفاوضات حسب الروايات الأجنبية تعود إلى شجع وطمع الباشا يوسف،[9] فقد ذكر الراهب دان أن لجوء الباشا إلى حيلة وهي استعمال بعض النساء على أنهن أزواج الأسرى الجزائريين تم بيع أزواجهم من طرف الفرنسيين، هذا الأمر جعل الباشا يرفض إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين، دون عودة كل الأسرى الجزائريين.[10]

وكرد فعل على موقف الجزائريين أرسل لويس الثالث عشر في 01 ماي 1636م أسطوله البحري يجوب مياه البحر الأبيض المتوسط لمطاردة البحارة الجزائريين، خاصة بعد رفض الجزائر مقترحات والتعديلات ما زاد موقفها عنفا وتصلبا،[11] وفي 07 نوفمبر 1637م أبحر القائد مانتان" **Mantin** " من تولون رفقة لوباج على رأس حملة عسكرية مكونة من اثنتا عشر

سفينة، للضغط على الحكومة الجزائرية حتى تفرج عن الأسرى الفرنسيين والموافقة على التعديلات التي أدخلتها فرنسا على معاهدة سنة1628م، حملت سفن الحملة معها الأسرى الجزائريين حتى تحظى المطالب الفرنسية بالموافقة لكن عاصفة بحرية شتت شملهم، ولم يصل إلى الجزائر سوى وحدتين بحريتين أمام الجزائر تحمل الراية البيضاء.[12]

1.2 حملة دوكين الأولى والثانية على الجزائر:

بسبب اسر الفرنسيين لعدد من البحارة الجزائريين ومطالبة الجزائر بافتكاكهم، لتجرى المفاوضات والتي أرادت فرنسا من خلالها إضافة شروط جديدة على اتفاق 1666م، وذلك بالنص على عدم استرقاق الأسرى الفرنسيين في حالة ما إذا اخذوا من سفن غير فرنسية، واستقبل الداي البعثة الفرنسية وأبدى استعداد للاتفاق، حيث قام بإطلاق الأسرى الفرنسيين لكن فرنسا رفضت تسليم الأسرى المسلمين.[13]

ومن أسباب الحملة كذلك أن الجزائريون قد فهموا سياسة الفرنسيين، لذلك كانوا أحيانا يتعرضون للسفن التي تحمل العلم الفرنسي رغم المعاهدات المبرمة بينهما،[14] ففي 18 أكتوبر تمكن الرياس الجزائريين من اسر تسعة وعشرين سفينة فرنسية،[15] وكان من ضمن السفن المستولى عليها سفينة للبحرية الملكية، والتي بِيعَ قائدها" **Le Chevalier De Beaiyeu** "من قبل الرايس علي بالمزاد، فاتخذت فرنسا من هذا الحادث سببا للهجوم على مدينة الجزائر للانتقام لشرف الملك الذي أهانه الجزائريون.[16]

وقد ذكر صاحب الزهرة النيرة تفاصيل دقيقة عن هذه الحملة " ... و في سنة 1093-1682م في إمارة بابا حسن في أول شهر رجب، قدمت عشرة أجفان كبيرة وخمسة عشر غربة من الفرنسيين إلى الجزائر على طريق محاصرتها ورسوا اتجاه الجزائر، بعد أيام قدمت العمارة الكبيرة وهي خمسة عشر جفنا كبارا وخمسة عشر غربة وخمسة متاع الحويلار ومتاع البومبة، فأول ما بدا اللعين بالحرب مشى بسفائنه وعربته إلى مدينة شرشال وحاربهم وقابل اللعين شرشال بالمدافع، يقدر طاقهم فلم يصل اللعين إلى طائل من أهل شرشال ولم يمت من

أهل شرشال ولو نفس واحدة ومات من الملاعين أكثر من ألفي فارس"،[17] وبعد قصف شرشال ومضي شهر جاء دور مدينة الجزائر والتي قصفت بكل قوة خلال خمسة أيام كاملة.[18]

ويؤكد ابن الرقية التلمساني حيث يشير إلى ضخامة المقذوفات المرمية على المدينة " ... ورموا قدر مائة وخمسين بومبة كل بومبة في الثقل قنطار واحد، وهدموا بها قدر مائتي دار وسقطت منها بومبة واحدة في الجامع الجديد وأخرى في الجامع الكبير،[19] كما قدر صاحب كتاب تاريخ باشوات الجزائر أن عدد القنابل كان ثلاثمائة قنبلة.[20]

ويضيف ابن الرقية "...وبعد هذه الليلة قربوا لها مرارا فلم يكن يصل منها شيء للجزائر، فعند ذلك رجع الملاعين إلى بلادهم خائبين خاسرين ومات من الملاعين خلق كثير خصوصا من المرضى.[21]

2.2 حملة دوكين الثانية يونيو 1683م:

عندما رجع الفرنسيون في السنة الموالية، كان القصف الذي أعقب ذلك أكثر فعالية من قصف السنة الفارطة،[22] ويصف ذلك ابن الرقية التلمساني " ... ففي الليلة الأولى من رجب ... رموا قدر ستين بومبة وفي الليلة الثانية رموا إلى البلد وإلى المرسى قدر مائة وعشرين بومبة، وفي هاتين الليلتين لم يمت احد من المسلمين بالبومبة، وبمدافع الأبراج مات كثير من النصارى وسقط في الليلة الثانية بومبتان في دار الحاكم بابا حسن ... فعند ذلك دخل الخوف في قلب بابا حسن فمن ساعته بلا مشورة احد طلب الصلح من النصارى ..."[23]

فأرسل الرهائن إلى دوكين وأعاد مئات من الفرنسيين بدون دفع الفداء، ولكن عندما تصعب موقف دوكين في الشروط بطلبه دفع أموال طائلة كتعويض قدره سبعمائة ألف فرنك، اِحتج بابا حسن بأنه لا يستطيع أن يوفر هذا المبلغ من الأموال، أثناء ذلك عرض ميزومورطو وهو احد الرهائن لدى الفرنسيين وأكثر الرياس تأثيرا أن يجد حلا لهذا مشكل إذ سمح له فقط بالنزول إلى الرصيف، فجمع من حوله الرياس ومعظم الانكشارية،[24] والذين أغضبهم قرار الداي فاخبر الحضور أن القائمين على البلد ت الجبناء سببوا دمار المدينة؛ معارضا فكرة إرجاع

الممتلكات التي أُخذت من فرنسا، فتم اغتيال الداي ليلا واختير ميزومورطو دايا جديدا على الجزائر صباحا.[25]

والذي أعلن انه سيقذف من أفواه المدافع كل الفرنسيين في الجزائر، إذا استمر دوكين في القصف وعندما استمر القصف ربط الجزائريون القسيس فاشي وغيره من القساوسة و الأسرى الفرنسيين إلى هذا المدفع وقذف بهم.[26]

لم تسفر الحملة على النتائج التي قامت عليها من أجلها، فاستدعي دوكين واستبدل بالأميرال دوتورفيل" **M.De Tourville** "، الذي أوكلت له مهمة التفاوض والتعجيل بعقد معاهدة الصلح.[27]

وبعد وصوله إلى الجزائر أكد دوتورفيل بأن مسالة تحرير الأسرى الفرنسيين أمر ضروري لبداية المفاوضات، لكن الداي لم يكن يرغب في الصلح حيث يذكر ابن الرقية التلمساني "... أتت منهم سفائن كبار ومع واحدة هدية وصاروا يتحللون على الصلح أما ميزومورطو فلم يلتفت إليهم أصلا، وبقوا على هذه الحالة قدر شهر ونصف وميزومورطو على الإباء واللعين أعطى هدايا كثيرة للأعوان حتى صاروا بسببها يراودون ميزمورطو على الصلح.[28]

3.2 حملة ديستري على مدينة الجزائر 26 جوان 1688:

تذرعت فرنسا لإعلان الحرب ضد الجزائر بسماح الحكومة الجزائرية ببيع غنيمة فرنسية، من طرف احد بحارة الجزائريين بمدينة سلا، وبناءا على ذلك قرر الملك مطاردة السفن الجزائرية أينما وجدت؛ فإثر ذلك انطلقت الحملة العسكرية الفرنسية بقيادة الأميرال ديستري، والتي تكونت من أربعة وأربعون عمارة وبمجرد وصولها بدأت في قصف المدينة.[29]

استغرق القصف لنحو 26 يوما من 01 جويلية إلى غاية 26 جويلية، وقدر عدد القنابل بعشرة ألاف وأربعمائة وعشرون قنبلة، حيث بلغت الخسائر من 10 ألاف مبنى لم يبقى منها إلى 800 مبنى مستقيم، فقد أصابت مختلف المنشآت من ثكنات ومنازل ومساجد،[30] وقد وصف وولف الخسائر بأن القصف أعظم مما كان متوقعا، وكان ثلث المدينة خراب وقد لاحظ سيد كول" **Cole**" وهو تاجر إنجليزي في الجزائر "...لقد تسببوا مع ذلك

في أضرار فعلية ...إن عشرين سنة لن تجعل مدينتكم جميلة، مثل جمالها السابق"، كما كان رد الحكومة الجزائرية على ما ارتكبه قائد الحملة ضد الجزائر، وما خلفته من خسائر أن وضعت ثلاثة من الفرنسيين في أفواه المدافع، حيث أن القنصل الفرنسي نجا من هذا الإعدام الأول، وفي الثاني والعشرين وعلى الساعة الرابعة مساءا قذف بالقنصل الفرنسي وأربعة أخريين من الفرنسيين، وفي يوم الخامس والعشرين قذف بالقسيس العام وأربعة فرنسيين أخريين، وفي 27 من جويلية احضر سبعة عشر فرنسيا أخريين لإعدامهم، لكنهم أعطوا الخيار بأن يصبحوا يهودا فقبلوا بسرعة، إن هذه الحملة رغم الخسائر التي نجمت عنها والتي لم يجني منها لويس الرابع عشر شيئا، فلم يتمكن من فرض شروطه على الحكومة الجزائرية بل أرغم إلى النزول عند رغبة الجزائريين فالتزم بتعويض سفينة احد الرياس، التي كانوا قد احرقوها كما وافقوا على تقديم تسعة ألاف قنبلة وأربعة مدافع هاون، وتسخير قائد مدفعية لحصار وهران، كذلك اعترفوا بأنه يمكن للرياس الجزائريين أن يسترقوا الأجانب الذين يجدونهم فوق السفن الفرنسية.[31]

وقد تضمنت المعاهدة فيما يخص الأسرى ومسالة القرصنة ما يلي:

- للوصول إلى السلم المعني فقد اتفق الطرفان على حرية شراء الأرقاء بدون تمييز بالسعر الذي يتم الاتفاق علية بين الباشا وقنصل إمبراطور فرنسا-**البند04**-
- عندما تلتقي السفن المجهزة للحرب سواء كانت قد خرجت من ميناء الجزائر أو من أي ميناء من موانئ المملكة، بسفن مبحرة تحت راية فرنسا ومزودة بجوازات مستخرجة من الأمرالية، سوف يترك لها الحرية لمتابعة رحلتها بدون أية عرقلة ومساعدتها عند الحاجة، مع الملاحظة ألا يرسل إلى المراكب لزيارتها تفتيشها سوى شخصين وطاقم القارب الذي يحملهما، ولا يدخل غيرهما إلا بإذن صريح من قائد المركب-**البند07**-
- كل الفرنسيين الذين تم أسرهم من طرف أعداء إمبراطور فرنسا و سيقوا إلى مدينة الجزائر أو إلى احد موانئ هذه المملكة، سيطلق سراحهم في الحال بدون حجزهم واسترقاقهم، وعندما يتم أسرهم من طرف سفن طرابلسية أو تونسية أو غيرها ويساقون إلى الجزائر فان الباشا الداي والديوان وأوجاق مدينة ومملكة الجزائر سيعطون

الأوامر لكل الحكام، بحجز هؤلاء الأرقاء وتهيئتهم ليتم شراءهم من طرف قنصل فرنسا بأفضل سعر ممكن-**البند11-**[32]

3. الحملات الإنجليزية على مدينة الجزائر:

لم ينتظر الإنجليز توقيع ملكهم السلام مع إسبانيا ليعرفوا أن سفنهم قد أغار عليها البحارة من الجزائر، ففي سبتمبر 1602م كتب كبير أمراء البحر الإنجليز إلى القنصل الإنجليزي بالجزائر وإلى السفير في إسطنبول، يحتج على احتجاز السفينة ماريغولد" **Marigold**" في عرض المحيط الأطلسي، لكن القنصل الإنجليزي في إسطنبول فقد أية وسيلة للضغط على الحكومة العثمانية لوقف نهب الجزائريين للسفن الإنجليزية؛ وأن صلح جيمس الأول ملك إنجلترا مع إسبانيا سنة1604م أنهى حصانة السفن الإنجليزية ضد المغيرين الجزائريين، ذلك في نفس الوقت أن الجزائريين خلال هذه المرحلة فتحوا أعظم عهودهم في النشاط البحري، وهكذا فانه ابتداء من العقد الثاني للقرن السابع عشر الميلادي، أصبح أسطول البحارة المنطلق من الجزائر يشكل تهديدا لحركة السفن الإنجليزية، ولم يكن هناك طريقة سهلة للتوصل إلى حل خاصة مع تعاظم قوة الأسطول الجزائري، حيث يصف السفير الإنجليزي هذه الحالة سنة 1617م"... إن قوة و جرأة قراصنة شمال إفريقية هما الآن على هذا النحو من الضخامة سواء في البحر الأبيض أو في محيط الأطلسي.."[33]

وأمام تزايد حِدَّة نشاط البحرية الجزائري ضد السفن الإنجليزية، قرر الملك الإنجليزي إرسال حملة عسكرية الأولى للجزائر، والتي تكونت من ستة سفن عادية تحمل 230 مدفعا نحاسيا و 12سفينة تجارية تحمل على متنها 243 مدفعا حديديا من الحجم الصغير، حيث كانت السفن الإنجليزية أكثر السفن تفوقا من حيث قوة الطلقات المدفعية،[34] وكان السيد روبير مانسيل هو قائد الأسطول، كما تحصل السفير الإنجليزي بإسبانيا على ضمانات ووعود بالمساعدة الإسبانية.[35]

وصل الأسطول الإنجليزي إلى الجزائر في أواخر نوفمبر 1620م، حيث طلب مانسيل من السلطة في الجزائر أن تسلمه جميع الأسرى الإنجليز فرفض طلبه، وفي الثالث من ديسمبر

وصل أسطول آخر من إسبانيا، يتكون من ست سفن حربية وأطلق 74 قذيفة على المدينة، فردت عليه مدينة الجزائر بمدافعها، وفي 07 ديسمبر غادر الإنجليز ميناء الجزائر بعد أن نجحوا في تحرير ما عدده أربعون أسيرا إنجليزيا من المسنين تاركين وراءهم مئات الأسرى الآخرين.[36]

1.3 الحملة الإنجليزية على مدينة الجزائر سنة 1654م:

إن التوجه الجديد للحكومة الإنجليزية الذي يقضي باستعمال القوة والصرامة في التعامل مع الإيالات المغاربية، وقد برز ذلك جليا في التعليمات التي زود بها القنصل الإنجليزي الجديد روبير براوني" **Robert Browne**" ؛ والتي تميزت بالوضوح وعدم التسامح والتساهل مع أي نشاط يخل بالمعاهدة، وتدعيما لمهمة القنصل أرسلت الحكومة الإنجليزية أسطولها بقيادة الأميرال بلاك" **Blake**" ، إلى البحر الأبيض المتوسط ليكون على أهبة الاستعداد لأي طارئ.[37]

وفي نهاية سنة 1653 م جاء روبير بلاك إلى البحر المتوسط، على رأس عمارة إنجليزية محكمة التنظيم كان يقود عمارته من على متن سفينة سان جورج ذات الستين مدفعا والمائة والخمسين رجلا، وفي أوائل عام1654م اتجه نحو سواحل المغرب الإسلامي، ليثأر للاعتداءات التي تتعرض لها السفن الإنجليزية التجارية من قبل الرياس في الجزائر تونس وطرابلس.[38]

ثم جاء الدور على الجزائر فدخل الميناء دون مقاومة، وطلب من الباشا مُحَمَّد أن يطلق سراح جميع الأسرى المسيحيين، فقدم له الباشا هدية ثمينة التي تمثلت في قطيع من الحيوانات و تعهد بإطلاق سراح الأسرى الإنجليز مقابل فدية مخفضة، كما تعهد بعدم الاعتداء على السفن الإنجليزية.[39]

2.3 الحملة الإنجليزية 1660م:

بتغير النظام السياسي في إنجلترا وعودة الملكية سنة 1660م، استهل الملك شارل الثاني عهده بتجهيز حملة عسكرية على مدينة الجزائر، لإجبار السلطة في الجزائر على الانصياع لرغبة في تعديل المعاهدة الثنائية خاصة ما يتعلق بتفتيش السفن الإنجليزية، وقد وصف صاحب الزهرة

النائرة ذلك "...أتت عمارة الإنكليز بثلاث وعشرين سفينة كبار، وأراد أن يجدد الصلح الذي بينه وبين أهل الجزائر وشرط شروطا من جملتها:

إن سفائن الإنجليز إذا تلاقت مع سفائن الجزائر تجوز سفائن الجزائر من تحت ريحها.

وإذا ظهر منها علامة الإنجليز لا يفتشها أهل سفينة الجزائر بل يخلون سبيلها.

كما يضيف قائلا "... فأجاب أهل الجزائر إن هذا الشيء لا يمكن وإذا أراد أن يكون مصطلحا معنا فيكون الصلح على الشروط التي كانت من قبل وإلا فلا صلح بيننا وبينه، و إن أراد شيئا يفعل بنا فعليه مباشرته بقدر جهده وطاقته..." ونتيجة لهذا الموقف شرع الأسطول الإنجليزي في قصف المدينة وأبراجها، فردت عليه الحصون الجزائرية فأصابت السفينة التي تحمل الأميرال كما أصيبت بعض السفن بأعطال، وقد وصف ابن الرقية ذلك "...فدام القتال في ذلك اليوم إلى المغرب، فعند ذلك أقلعت سفائن اللعين مخاطفهم وحلوا إقلاعهم و وجهوا إلى بلادهم خائبين خاسرين، ولم يمت في تلك الحرب إلا رجل واحد... أما الإنجليز الملاعين فقد مات منهم أكثر من مئة".[40]

3.3 حملة الإنجليزية على مدينة الجزائر سنة 1671م:

لم تدم المعاهدة الجزائرية الإنجليزية الموقعة في سنة 1662م طويلا، إذ عادت الحرب سنة 1669م حيث شرع الرياس الجزائريون في مهاجمة السفن الإنجليزية؛ حيث اشتكى أصحابها إلى دولتهم، والتي سيرت حملة بقيادة إدوارد سبراغ"**Edward spragg**" إلى سواحل المغرب الإسلامي.[41]

ففي ربيع 1671م هاجم الأسطول الإنجليزي ميناء بجاية وأضرم النار في 10 سفن من المراكب الراسية فيه، وكان ردة الفعل في مدينة الجزائر هو اغتيال القنصل الإنجليزي ونهب مقر القنصلية، ليظهر الأسطول الإنجليزي قبالة مدينة الجزائر في شهر جويلية، فاحرق ثلاثة مراكب جديدة واغرق أخرى، كما أحدث تخريبا في رصيف الميناء، هاته العمليات الإنجليزية كانت سببا في حدوث الثورة في الجزائر، فالأغا قتل و بدا نظام جديد تحت رعاية الرياس فنصبوا أول داي لهم.[42]

4. حملات أخرى:

يذكر مؤرخ فرنسي "... لقد ظل الهولنديون والإنجليز والبندقيون والجنويون والنابليون وفرسان مالطا طوال القرن السابع عشر الميلادي يشنون حروبا على الجزائر، لكن دحرتهم جميعا بفضل تفوق بحريتها المنظمة تنظيما يستحق الإعجاب، كما يذكر المؤرخ الألماني سيميونوف فيقول "... ليس الفرنسيون فقط هم الذين كافحوا القراصنة الجزائريين، بل جميع الأمم بدون أي استثناء كافحت هذا الوباء البحري : كافحه الإنجليز والهولنديون والإسبان والجنويون ولكن كفاحهم ظل بدون جدوى".[43]

1.4 الحملة الهولندية الإنجليزية على مدينة الجزائر 1670م:

تردت العلاقات الجزائرية الإنجليزية، إضافة لتوتر العلاقات الجزائرية الهولندية قرر البلدان الأوربيان التعاون من اجل شن الحرب على الجزائريين، وجاء ذلك بعد أن هاجم البحارة الجزائريون سفينة حربية هولندية، والتي كانت مرافقة لستة سفن أخرى، نتيجة لهذه العملية الحربية تواصلت القيادة الهولندية بالقيادة الإنجليزية، وتم الاتفاق بين الطرفين على إرسال أسطول مشترك، الذي يتشكل من خمس سفن إنجليزية تحت قيادة الضابط ريتشارد ألين" **Richard Allen** "، وأربع سفن هولندية تحت قيادة ويليام فان جنت" **Willem Van Gent**".[44]

وبناء على تعليمات دي رويتر" **de Ruyter**" تم تجميع الأسطول وإجراء الاستعدادات في مضيق جبل طارق، وفي أوت 1670م اعترض الأسطول المشترك أسطولا جزائريا قادما من المحيط الأطلسي، والذي يتكون من سبع سفن كبرى تحمل كل منها على اقل 30مدفعا وعلى ظهر الأسطول 1800 بحارا جزائريا وأكثر من 200 أسير، ولما علم البحارة الجزائريون بتواجد الأسطول الإنجليزي الهولندي جنحت السفن الجزائرية إلى السواحل المغربية، ولم يتمكن جنت والين من القبض إلا على عدد قليل من الجزائريين الجرحى، وتحرير عدد من الأسرى المسيحيين حيث اعتبر القادة الهولنديين هذا العمل انتصارا كبيرا.[45]

2.4 الحملة الدنماركية على الجزائر 1770م:

عرفت العلاقات الجزائرية الدنماركية نوعا من الاضطرابات فبعد توقيع المعاهدة بين الطرفين كانت السفن الدنماركية تعتبر إحدى أكثر السفن تفضيلا لدى بحارة الجزائر، كونها سفن تجارية غير مسلحة، فبدأت الدنمارك في تجهيز أسطول كبير لقصف مدينة الجزائر، فتم تجهيز أربعة سفن حربية كبيرة وكل من هذه السفن تحمل ما بين 50 و70 مدفعا، وفرقطتان ذوات 32 مدفعا، بالإضافة إلى غليوطتان، ليظهر الأسطول أمام سواحل الجزائر في جويلية 1770م.[46]

حشد الأميرال كاس" **Kaas** "أسطوله أمام مدينة الجزائر رافعا العلم الأبيض، أما مُحَمَّد باشا فقد أصدر أمرا إلى رئيس الميناء بالاستعداد للحرب، ثم أوفد القنصل الفرنسي إلى الأميرال من اجل إعلامه بأنه يمكن له أن يشرع في القصف إن جاء عدوا لان مدينة الجزائر مستعدة للحرب، وإن جاء مفاوضا وطالبا عقد معاهدة فيشترط عليه إبعاد غليوطات التفجير التي لا لزوم لها.[47]

طلب الأميرال كاس من الداي دفع تعويضات عن خسائر الدنماركيين وإعادة السفن التي استولى عليها رياس البحر الجزائريين.[48]

ويذكر الشريف الزهار تفاصيل العدوان الدانماركي على مدينة الجزائر" ...بعد ثلاثة أيام ابتدؤا يرمون البومبة على البلاد ولم يصل منها إلا شيء قليل، واستمر على ذلك نحو الأحد عشر يوما..."،[49] دون تحقيق أية نتائج مرجوة وهدا لبعد مسافة القصف، أيضا يذكر جون وولف أن سفن دول الدنمارك لم تستطع أن تقترب بما فيه الكفاية لكي تصيب قنابل مدافعه المدينة، فما بالك في جعلها تتسبب في أضرار بليغة، كما أن بواخره الحربية غير قادرة على أن تحاصر أي واحدة من السفن الجزائرية المسماة بالشبيكات ذات السرعة والخفة الفائقة، وقد كانت المحاولة الدنماركية نكبة ألهمت في الجزائر بتنظيم الشعر الساخر،[50] ما جعلهم يطلبون الصلح فيذكر ابن الرقية " ...بعد ذلك بعث اللعين من مملكتهم أناسا أعطوا هدايا كثيرة وحللوا كثيرا، فعند ذلك طاب خاطر مُحَمَّد باشا وشرط عليهم أشياء كثيرة.[51]

3.4 الحملة الأمريكية على مدينة الجزائر سنة1815م:

احترمت الجزائر المعاهدة مع الأمريكيين حتى سنة 1812م، حينما قام الداي الحاج علي بن خليل برفع طلبات جديدة تخص الضريبة السنوية التي تدفعا الولايات المتحدة الأمريكية للجزائر، كما أن البحارة الجزائريين في سنة 1812م قاموا بالاستيلاء على سفينة تعود للواء أدوين سالم ليسترق طاقمها رغم تدخل القنصل الأمريكي في تونس، حث عرض3ألاف دولار لتحرير الطاقم إلا أن الطلب قوبل بالرفض، والأكثر من ذلك فقد أعلن الجزائريون الحرب ضد الولايات المتحدة الأمريكية.[52]

الخاتمة:

شكل نشاط الغنائم والأسرى خاصة خلال القرن السادس والسابع عشر أهم المسائل التي بلورت وحددت مظاهر العلاقات الخارجية للجزائر والتي أثرت في طبيعتها، كما شكلت الغنائم البحرية خاصة البشرية منها محور العلاقات الخارجية للجزائر ومحورا مهما في العلاقات بين ضفتي البحر المتوسط الشمالية والجنوبية حيث اغلب الاتفاقيات والمعاهدات التي وقعت بين الجزائر والدول الأوربية تطرقت إلى مسالة الأسرى سواء بإسراع في تحريرهم وافتدائهم أو تحسين وضعيتهم داخل إيالة الجزائر. ساهم نشاط القرصنة في تطور ظاهرة الأسر حيث تعتبر السبب المباشر في وقوع الأسرى وقد شحنت الحمية الدينية عمليات الأسر حيث اعتبرت ممارسة مرغوبة ضد أعداء الدين وتعتبر القرصنة مظهر من مظاهر الحروب الدينية المقدسة، تمكنت الجزائر من احتواء جميع الحملات العسكرية الأوربية سواء بالقوة بفضل قوة أسطولها البحري أو بفضل دبلوماسيتها بإبرام المعاهدات والاتفاقيات.

إن معظم الحملات والهجومات الأوربية ضد الجزائر خلال العهد العثماني يعود سببها إلى وقوع مواطنيها في يد البحارة الجزائريين إضافة إلى فشل تحريرهم أو التفاوض عليهم.

إن الحملات الأوربية والمسيحية المتكررة على إيالة الجزائر، أثرت بشكل كبير في عدد سفن الأسطول البحري الجزائري، وبالتالي أثرت هذه الحملات في تقلص نشاط البحري للبحارة الجزائرية، حيث تقلصت بشكل كبير وصول الغنائم البحرية لمدينة الجزائر.

قائمة المراجع:

- المؤلفات:
- أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج احمد شريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، ذخائر الغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،1974.
- أزرقي شويتام: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800–1830، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ط1، القبة، الجزائر ،2011.
- جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500–1800، المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر، الجزائر، 1987.
- جون ب وولف: الجزائر وأوروبا (1500–1830)، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، دار الرائد، طبعة خاصة، الجزائر، 2009م.
- حنيفي هلايلي: العلاقات الجزائرية الأوربية ونهاية الإيالة 1815–1830، ط1، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2007.
- خير الدين فارس: الجزائر من الفتح العثماني إلى الاستعمار الفرنسي، دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث، ط1، سوريا،1969.
- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي(1514–1830م)، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- عبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816–1871، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، مارس 1972.
- عزيز سامح ألتر: دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، الجيش الشعبية للطباعة، الجزائر، 1982.
- على تابليت: العلاقات الجزائرية الأمريكية (1776–1830)، أطروحة دكتورا دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006–2007.
- مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرحمن الجيلالي بن رقية التلمساني: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حيث أغارت عليها جنود الكفرة، تعليق خير الدين سعيدي الجزائري، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر،2017.
- مولود قاسم نايث بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1985.
- وليام شالر: مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824م)، تعريب: إسماعيل الغربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

- يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالیك أوروبا (1500–1830م)، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.
- **Jal, Abraham De Quesne El La Marine De Son Temps, Tome Second, Henri Plon, Imprimeur– Éditeur. 1873.**
- **Charles De La Roncière, Histoire de La Marine Française En Quête Dun Empire Colonail.Librairie Plon. Paris. 1910.T04.**
- **Dan, Histoire de Barbaire et de ses corsaires, T03, Second Edition pierre Rocalet, Paris, 1646.P45.**
- **G. Delphin, Histoire Des Pachas D'Alger De 1515 À 1745.Journal Asiatique Onzième sérier, Tome XIX.**
- **G. Jacqueton, La France Et La Régence D'Alger, Revue De questions Historiques, T05.Paris. 1890.P**
- **Gerand Van Krieken, corsairs et marchands, les relations entre Alger et les Pays–Bas 1604–1830, éditions Bouchene. Paris.2002.**
- **H. De Grammont, Relations Entre La France Et La Régence D'Alger XVIII Siècle, RA. N23, 1879.**
- **Le Marechal D'Estrées d'avent Alger, Documents inédits De 1687 Et 1688, Pierre grand champ.R.T.1918.**
- **M.CH. De La Ronciers, Le Bombardement D'Alger En 1683, D 'Apris Une relation inédite, Extrait Du bulletin De La Section De Géographie. 1916.**
- **Mathew Carey, A Short History of Algiers, With a Concise View of the Origin of the Rupture Between and The United State, Third Edition, New York, 1805.**

- R.L. Playfair, Épisodes De L'Histoire Des Relations De La Grande-Bretagne Avec Les états Barbaresques Avent La Conquête Françaises, In RA, N22, 1878.

- المقالات:
- عبد القادر فكاير: علاقات الجزائر مع هولاندا خلال الفترة العثمانية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد الأول، جانفي ديسمبر 2007.
- بلعمري فاتح: حملة اللورد اكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 في عيون رحالة محلي وقنصل أجنبي، معارف مجلة علمية محكمة، العدد 17، ديسمبر.
- بلبروات بن عتو: الداي مُحَمَّد بن عثمان باشا وسياسته 1766-1771، مجلة عصور، العدد 06-07، جوان ديسمبر 2005/ذو القعدة 1426هـ/1791.
- مصطفي بن حادة: نظرة بعض القناصل الأمريكيين في العلاقات الجزائرية الفرنسية، مجلة الخلدونية، العدد 09، 2016.
- أمبارك شوادر: التكتل الأوربي ضد الجزائر فيما بين 1815-1830 وتداعياته، الحوار المتوسطي، المجلد التاسع، عدد01، مارس 2018.

- Al Hafid Benguetaf, The Barbary treaties between The USA and Algiers 1795-1816, Revue Ossour, N17-18-jun.Dec.2010.
- Daniel Panzac, les Esclaves et leurs rançons chez les barbaresques (fin XVIII-début XIX siècle) in revue : cahiers de la méditerranée, Vol 65, 2002.

الهوامش:

1بلعمري فاتح: حملة اللورد اكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 في عيون رحالة محلي وقنصل أجنبي، معارف مجلة علمية محكمة، العدد 17، ديسمبر، ص21.

2مولود قاسم نايث بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1985م، ص64.

3بلعمري فاتح: حملة اللورد اكسموث على مدينة الجزائر سنة 1816 في عيون رحالة محلي وقنصل أجنبي، معارف مجلة علمية محكمة، العدد 17، ديسمبر، ص21.

4مولود قاسم نايث بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1985م، ص64.

5 Charles De La Roncière, Histoire de La Marine Française En Quête Dun Empire Colonail.Librairie Plon. Paris. 1910.T04. P694

6 H. De Grammont, Relations Entre La France Et La Régence D'Alger XVIII Siècle, RA. N23, 1879. P417.

7 H. De Grammont, relations .3eme Partie. P422.

8 Dan, Histoire de Barbaire et de ses corsaires, T03, Second Edition pierre Rocalet, Paris, 1646.P45.

9 H. De Grammont, relations .3eme Partie. P423.

10 Dan, Histoire de Barbbarrie et de ses corsaires, Op.cit, P46.

11 H. De Grammont, relations .3eme Partie. P427.

12 H. De Grammont, relations .3eme Partie. P429.

13خير الدين فارس: الجزائر من الفتح العثماني إلى الاستعمار الفرنسي، دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث، ط1، سوريا،1969، ص 130.

14بن حادة مصطفي: نظرة بعض القناصل الأمريكيين في العلاقات الجزائرية الفرنسية، مجلة الخلدونية، العدد 09، 2016، ص130.

15 H. De Grammont, relations .3eme Partie. P247.

16 M.CH. De La Ronciers, Le Bombardement D'Alger En 1683, D 'Apris Une relation inédite, Extrait Du bulletin De La Section De Géographie. 1916.P07.

17محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلالي بن رقية التلمساني: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حيث أغارت عليها جنود الكفرة، تعليق خير الدين سعيدي الجزائري، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، ط1 ،2017، الجزائر، ص 127-128.

18 M.CH. De La Ronciers, Le Bombardement D'Alger En 1683, D Apris Une relation inédite, Extrait Du bulletin De La Section De Géographie. 1916.P11.

19محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلالي بن رقية التلمساني: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حيث أغارت عليها جنود الكفرة، تعليق خير الدين سعيدي الجزائري، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، ط1 ،2017، الجزائر، ص 128-129.

20 G. Delphin, Histoire Des Pachas D'Alger De 1515 À 1745.Journal Asiatique Onzième sérier, Tome XIX. P211.

21محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلالي بن رقية التلمساني: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حيث أغارت عليها جنود الكفرة، مصدر سابق، ص 129.

22جون ب وولف: الجزائر وأوروبا (1500-1830)، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، دار الرائد، طبعة خاصة، الجزائر، 2009م، ص 344.

23محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلالي بن رقية التلمساني: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حيث أغارت عليها جنود الكفرة، مصدر سابق، ص 130.

24جون ب وولف: الجزائر وأوربا، مرجع سابق، ص 344-345.

25 Mathew Carey, A Short History of Algiers, With a Concise View of the Origin of the Rupture Between and The United State, Third Edition, New York, 1805.P61.

26جون ب وولف: الجزائر وأوربا، مرجع سابق، ص 345.

27 A. Jal, Abraham De Quesne El La Marine De Son Temps, Tome Second, Henri Plon, Imprimeur- Éditeur. 1873.p491.

28محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلالي بن رقية التلمساني: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حيث أغارت عليها جنود الكفرة، مصدر سابق، ص 132.

29 Le Marechal D'Estrées d'avent Alger, Documents inédits De 1687 Et 1688, Pierre grand champ.R.T.1918.P285-286.

30 G. Jacqueton, La France Et La Régence D'Alger, Revue De questions Historiques, T05.Paris. 1890.P224.

31جون ب وولف: الجزائر وأوربا، مرجع سابق، ص ص353 – 355.

32جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1800، المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر، الجزائر، 1987، مرجع سابق، ص ص، 158-160.

33جون ب وولف: الجزائر وأوربا، مرجع سابق، ص 251-253.

34 R.L. Playfair, Épisodes De L'Histoire Des Relations De La Grande-Bretagne Avec Les états Barbaresques Avent La Conquête Françaises, In RA, N22, 1878.P306.

35جون ب وولف: الجزائر وأوربا، مرجع سابق، ص 254.

36صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1830م)، دار الهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 116.

37جون ب وولف: الجزائر وأوربا، مرجع سابق، ص 305.

38 R.L. Plyfair, Épisodes De L'Histoire Des Relations De La Grande-Bretagne Avec Les états Barbaresques Avent La Conquête Françaises, Op.cit. P317.

39صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، مرجع سابق، ص 116.

40محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجيلالي بن رقية التلمساني: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حيث أغارت عليها جنود الكفرة، مصدر سابق، ص 126.

41 R.L. Plyfair, Épisodes De L'Histoire Des Relations De La Grande-Bretagne Avec Les états Barbaresques Avent La Conquête Françaises. OP. Cit.P402-403.

42جون ب وولف: الجزائر وأوربا، مرجع سابق، ص 328-329.

43مولود قاسم نايث: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1985م، ص73.

44 Gerand Van Krieken, corsairs et marchands, les relations entre Alger et les Pays-Bas 1604-1830, op.cit, P66-67.

45عبد القادر فكاير: علاقات الجزائر مع هولاندا خلال الفترة العثمانية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد الأول، جانفي ديسمبر 2007.ص 193.

46 H. De Grammont, Histoire D'Alger, op.cit. P319

47 بلبروات بن عتو: الداي محمد بن عثمان باشا وسياسته 1766-1771، مجلة عصور، العدد 06-07، جوان ديسمبر 2005/ذو القعدة 1426هـ/1791، ص90.

48يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا (1500-1830م)، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م، ص 101.

49أحمد توفيق المدني: مذكرات الحاج احمد شريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر، مصدر سابق، ص 25.

50جون ب وولف: الجزائر وأوربا، مرجع سابق، ص 417.

51محمد بن رقية التلمساني: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حيث أغارت عليها جنود الكفرة، مصدر سابق، ص 138.

52 Benguetaf Al Hafid, The Barbary treaties between The USA and Algiers 1795-1816, Revue Ossour, N17-18-jun.Dec.2010.P293-294.